فوائد الفصد العام

لجناب الدكتور شبلي شميل

ان الاكثار من الفصد في الماضي لا يعادله الاَّ الاقلال منهُ اليوم . فلقد كان الاقدمون يفصدون لاقل عارض يعرض للبدن حتَّى افرطوا من الفصد إفراطاً مضرًّا فصار المتأخرون يخافون منهُ ولو كان لازمًا حتَّى اقلُّوا منهُ اقلالاً مضرًّا ايضًا . وكلٌّ من الفريقين بنى عملهُ على قواعد فالاقدمون قالوا ان البدن مؤلَّف من اخلاط ما دامت فيهِ على نسبةٍ معلومة دام صحيحًا فاذا زالت من بينها هذه النسبة بان تغلَّب البعض على البعض الآخر وقع البدن في السقم فلا رد الى الصحة لا بد من رد هذه الاخلاط الى الاعتدال وذلك انما يكون باستفراغ الاخلاط الزائدة المسماة عندهم فضلات وافضل طرق استفراغها الفصد خصوصًا في الحميات حيث قالوا ان هذا الاختلال في نسبة الاخلاط يبلغ معظمهُ . واما المتأخرون فقالوا ان البدن يحتاج في المرض الى توفير قواهُ فاذا استُفرغ دمهُ بالفصد كان كمن سُلب منهُ زادهُ كلهُ او قسمٌ منهُ وهو على سفر فعدلوا الى توفير دمهِ ما امكن وزيادة مصدرهِ بالتغذية وقصروا استعمال الفصد على احوال خصوصيَّة ذكروها في الكتب ولكنهم ما لبثوا ان اهملوهُ عملاً حتَّى في هذه الاحوال ايضًا وكادوا يقتصرون في استفراغ الدم على الفصد الموضعي فقط . والحقُّ يقال ان الاقدمين كانوا على هدًى اكثر من ملفائهم ولولا نسيانهم قواعد مذهبهم وافراطهم المضر لما عمد خلفاؤهم الى مخالفتهم ولما اتَّهم الفصد باضرار كان في الامكان اجتنابها مع توفُّر منافعهِ الاَّ انَّ كل شيء اذا تجاوز حدَّهُ المفروض انقلب الى ضدهِ وجلب رد فعل ربما تجاوز الحد الجائر فاوقع في الضرر من حيث يُقصَد النفع كما وقع القصد في الطب الحديث فان الاطباء انكفوا عنهُ لما رأوهُ من الافراط المضر حتَّى كادوا يهملونهُ بالكليَّة

والظاهر ان هذا الاقلال من الفصد لا يطول حتَّى يخلفهُ ردُّ فعل يعيد للفصد شأنهُ فان المعلومات الباثولوجيَّة اليوم تميل بالافكار الى تقرير منافعهِ والعجب انهم ابتدأوا بهِ في اغرب الامراض التي يصعب فيها تطبيق التعليل على النتيجة فان بعض الاطباء عالجوا الداء المعروف بالخلوروانيميا اي فقر الدم الاخضر بالفصد وحمدوا النتيجة وسواء صحَّ الفصد في علاج هذا الداء او لا فذلك لا يغير كثيرًا من اهميتهِ العظيمة في الامراض الاخرى التي ينطبق استعمالهُ فيها على المعروف عنها فلا يخفى ان الطب القديم كان يعدُّ لمبرزات البدن شأنًا عظيمًا ويعتبر احتباس هذه المبرزات سببًا لادواء كثيرة ولذلك وضع الاقدمون في

علم العلاج القاعدة الآتية وهي «لا تحبس المفرزات» وقد اغفل خلفاؤهم هذه القاعدة في اول الامر واما اليوم فقد عادوا اليها وما اختلفوا عنهم الاَّ في مسائل بسيطة فرعيَّة فالمتقدمون قالوا بالنضلات واما المتأخرون فقد عينوا هذه النضلات وقالوا انها سموم سموها باسم بتومائين وانها تتولد عن انحباس المفرزات او عن مفرزات المكروبات فاذا انحبست في البدن احدثت فيه اعراضًا مَرَضيَّة لا تزول الاَّ بطردها. وعلى ذلك جرى الاطباء الفرنسويون وفي مقدمتهم بوشار وهوشار فان الاول بحث في الاوريميا اي انسمام الدم بمفرزات البول والستركوريميا اي انسمام الدم بمفرزات الامعاء وقال ان انحباس هذه المفرزات سبب لانسمام البدن. وذهب الى ان افضل علاج لهذا الانسمام طرد هذه السموم البرازيَّة وافضل السبل لطردها النصد. وقد صار النصد اليوم من انجع الوسائل العلاجيَّة للانسمام البولي مع ان اعراض هذا الداء ربما يجلب من تغير تركيب الدم وخفض الحرارة تحت المعدل الطبيعي احيانًا تقرب كثيرًا من اعراض الانيميا اي فقر الدم. وعلى هذا التعليل جرى هوشار في بحثه في امراض القلب والجهاز الدوري وخصوصًا عسر التنفس الذي يعرض في هذه العلل وعالج الناشيء منه عن السموم البرازيَّة بالنصد. ونجاح النصد في الخلوروانيميا لا يخرج عن هذا القياس فلا يخفى ان الخلوروانيميا قد يعرض للفتيات بعد سن البلوغ ويسبقه ويرافقه تغير في الطمث بحيث يقل فيه غالبًا والطمث فعل فزيولوجي نافع فاضطرابه يوجب انحباس مواد سميَّة توقع اضطرابًا في الدم فلا عجب اذا كان استفراغ هذه المواد بالنصد ينفع كما ينفع في الاوريميا

ولقد أهمل النصد في الامراض الحادَّة عمومًا والحميات العفنيَّة خصوصًا وحتَّى الآن لم يأخذ احد بناصره فيها مع شيوعه في معالجة العلل الاوربيَّة كما تقدم مع ان استفراغ الدم في الامراض المذكورة وخصوصًا في الحمى التيفوئيديَّة يجد مسوِّغًا له في اكتشافات العلم الحديثة فضلاً عن المشاهدات الكلينيكيَّة وليس فيه في الظاهر ما يخالف القياس المعروف او النظر المعقول. وفي يقيننا انه لا يمضي زمن طويل حتَّى يتدرَّه الاطباء قدره في علاج الامراض العفنيَّة عمومًا والحمَّى التيفوئيديَّة خصوصًا. ولا ريب ان كلامنا سيصادف نفورًا من بعض الاطباء الذين تعوَّدوا ان يجروا في الطب على المألوف اكثر من المعقول. ولا خلاف في ان تقوية البدن وحفظ قواه اول شرط لازم في معالجة الامراض عمومًا والحميات العفنيَّة خصوصًا انما الخلاف في حقيقة هذه التقوية فالذين يجرون فيها على مبدإ حفظ الدم ومنع استفراغه وزيادة التغذية ما امكن انما يجرون على مبدإ اعتبار ان القوة بالكمية اكثر

من الكيفيَّة والحال ان الكيفيَّة اول شرط في هذه التقوية كما تدلُّ عليهِ الاكتشافات العلميَّة والمشاهدات الكلينيكيَّة فان الدم الفاسد المشحون بمحصلات البدن البرازيَّة اي الحامل كثيرًا من البتوماثين لا تفني كميتهُ الوافية عن كيفيتهِ الفاسدة بل حفظهُ والحالة هذه أعظم سبب لاضعاف البدن وتقليلُ كميتهِ مع تغيير كيفيتهِ أعظم مقوّ لهُ كما تؤيّدهُ مباحث الدكتور بوشار في الاوريميا والستركوريميا وزد على ذلك ان ادخال الغذاء الكثير ولا سيما الحيواني في معدة مريض لا تقبل الغذاء ولا تستطيع هضمهُ تكون نتيجتهُ في الحميات كنتيجة تقديم الوقود للنار الملتهبة يزيدها اشتعالاً اذ ان هذا الغذاء يتحوّل بالفساد الذي يلقاهُ في القناة المضمية الى مواد برازيَّة او بتوماثين يزيد الدم انسمامًا عوضًا عن ان يستحيل بالهضم الطبيعي الى مادَّة مغذية يتنعم بها البدن وينتفع بها

ومِمَّ الخطر ياترى في الحمى التيفوئيديَّة مثلاً أمن قلة الدم وكم هو عدد المرضى الذين ماتوا بهذا العرض في الحمى المذكورة لا ريب ان عددهم قليل جدًّا . بل اكثر الوفيات ما عدا الحاصل منها عن انثقاب المعاء سببهُ اختلاطات اخرى احتقانيَّة وانسمانيَّة . والحمى التيفوئيديَّة مرض مكروبي وانما المكروب لا يحدث المرض بنفسهِ بل بمبرزاتهِ اي بالبتوماثين الذي يولدهُ فهي اذًا مرض سمي او عفني والخطر فيها من مزيد هذا السم حتَّى لا يقوى البدن على التخلص منهُ . فاستفراغ هذا الزائد من السم عن احتمال البدن بفتح الوريد امرٌ معقول فاذا فعلنا كذلك نكون قد جرينا على مبدإ بوشار في الأوريميا . ثم ان هذا السم المنتشر في الدم لا يلبث حتَّى يؤثر في الجهاز الدوري وازل تأثيرهِ هو ضعف ضغط الدم الشرياني فينتج عن ذلك اضطراب في الدورة واحتقانات في الاحشاء المختلفة كالدماغ والرئتين والكليتين وهذه الاختلاطات الكثيرة الحصول في هذه الحمى هي اعظم اسباب الخطر فيها فضلاً عن تأثير هذا السم في وظيفتها بالكيفيَّة ايضًا فاستفراغ الدم في مثل ذلك يدرأ عن هذه الاحشاء خطرين خطر الاحتقان الموضعي لعدم تناسب توزيع الدم وخطر الانسمام لتأثير سم الداء في وظيفتها . واستفراغ الدم بفتح الوريد في هذه الحمى بناء على ما تقدَّم لا ينفع الَّا اذا تكرَّر لاستمرار تولد هذا السم ووجوب استفراغ الزائد منهُ عن الاحتمال من وقت الى آخر لدرء خطر قريب اذ لا ينتظر من الفصد اجهاض الداء الذي له سير قانوني معيَّن . فيستفرغ كل مرَّة مقدار قليل من الدم بفتح الوريد اذ لا يخفى ان القليل من الدم المستفرغ بالفصد العام يؤثر اكثر جدًّا من المقدار العظيم المستفرغ بالفصد الموضعي . ثم يكرر الفصد بحسب اللزوم . وما قيل عن الحمى التيفوئيديَّة ينال ايضًا عن سائر الامراض الحادَّة فكلها

خيف من زيادة تجمع سم هذه الامراض في الدم او من تأثيره في الاحشاء كما او كيفما يدرأ الخطر القريب باستفراغ الدم لازالة الاحتقان الموضعي ولمقاومة تأثير السم الرديء . واذا جرينا على ذلك نكون قد جرينا على قواعد العلم المعروفة اليوم وكان لنا من المشاهدات الكلينيكية ما يصوّب عملنا

والحاصل ان علاج الحمى التيفوئيدية المنطبق على قواعد الطب اليوم ينبغي ان يكون كما يأتي

اولاً الحمى التيفوئيدية الخفيفة التي لا ترتفع حرارتها كثيرًا ولا يكون معها اختلاطات نترك وشأنها ويُقتصر فيها على تطهير القناة الهضمية باستفراغ الامعاء من وقت الى آخر وبالغذاء الخفيف وافضله اللبن

ثانيًا الحمى الشديدة المرتفعة الحرارة والتي بها ميل لاحداث اختلاطات ينظر في علاجها الى المدلولات الآتية . اولاً تبريد الحرارة بالماء وافضل طرق استعماله الحمامات الباردة تكرّر مرّتين او ثلاث مرات في اليوم وباستمرار وضع الثلج على المراكز العصبية المركزية (الرأس وان امكن العمود الفقري) لمقاومة الاحتقانات العصبية المركزية وللتأثير على الحرارة المحيطة . ثانيًا طرد السموم المتجمعة في الدم ومقاومة تأثيرها السمي والاحتقاني في الاحشاء المختلفة وفي الجهاز الدوري وخصوصًا القلب بالفصد العام المستفرغ به مقدارٌ قليل من الدم من ٥٠ الى ٨٠ غرامًا دفعة واحدة والمتكرّر بحسب اللزوم . وباطلاق السبيل للمبرزات المعوية والكلوية وكثيرًا ما يكون الفصد اعظم واسطة لاطلاق وظيفة الكليتين المنحبسة مع استعمال مقادير قليلة من الكيبين (٢٥ سنتغرامًا مرتين في اليوم لمضادة الفساد في الباطن) . ثالثًا طرد السموم المتولدة في الامعاء (البتومائين) بالمساهل وافضلها الكالومل ثم اعطاء ملعقة من زيت الخروع كل يوم وتقليل مصدر تولدها في القناة الهضمية بالتعويل على الغذاء اللبني الذي يقلّ معه البتومائين وهو افضل جدًا من الغذاء الحيواني كالمرق فان هذا الاخير مصدر لتوليد هذه السموم ولاسيما اذا كانت المعدة عاجزة عن قضاء وظيفتها كما في هذا المرض . رابعًا انهاض القوى العمومية وتوفير التجة البدن وتقليل احتراقها باعطاء الكحول من ٥٠ الى ٨٠ غرامًا من الكونياك او من ٢٠٠ الى ٣٥٠ غرامًا من النبيذ في اليوم واستعمال الادوية الاخرى كالمدجيتال لتقوية القلب بحسب المدلولات